الاحتلال الثقافي على الأمة المسلمة

اسماعيل الفيضي كاينا
محاضر، كلية السنية العربيية، تشينا مانغلور

المبحث الأول: الغزو الثقافي في الغرب الصهيوني.

الخطر الأخطر الذي ينذر العالم الإسلامي اليوم ويتحدى المسلمين، والذي هو أكبر خطر من حيث شموله وعمقه ونتائجه البعيدة المدى، هو الاحتلال الثقافي الذي يشنها العالم الغربي بأجمعه والصهيوني خاصة وتؤيدهم في ذلك القوات الاقتصادية والعسكرية الآسيوية كالصين واليابان والهند. هذا الاحتلال هو من إحدى جهات الحرب التي تشنها هذه القوات المحايدة للإسلام. وهي تركز اهتمامامها على نقطة واحدة فقط. وهي محاربة الإسلام من وراء ستار الثقافة والعلم، ومن خلال وسائل الاعلام. وذلك إما بترسيخ الظن في عقول الناشئة والشباب بأن الإسلام لم يعد صالحا للعصر الذي يعيش فيه الإنسان وسائل العلم والتقنية الحديثة، ويعيش للتقدمات الهائلة في جميع مجالات الحياة ومناحي الحضارة، أوإما بالمحاولة لتفهيم الشباب الإسلامي أن الإسلام الذي جاء قبل اليوم بأربعة عشر قرنا كان أنجز ببعض الاصلاحات في المجتمع العربي يومذاك، كالحظر على وأد البنات وما أشبهه. أما اليوم فقد طوى سباطه ولا يحمل غناء في عصر العلم، إنما بات تذكارا من التاريخ السابق كسائر الديانات القديمة. أما هذا العصر فإنما هو عصر العلمانية والقومية الذي لا يحتاج إلى قانون الشريعة البتة.

هذا الغزو الفكري إنما هي نتيجة مؤامرة الغرب على الاسلام وهي تبلغ من العمق والقوة والقسوة مبلغا يقع فيه العالم الإسلامي كل فريسة له. وهذه المؤامرات وتلك العداوات القاسية للإسلام إنما هي نتيجة إدراكهم أن الإسلام لم يزل ولا يزال يملك أكبر نفوذ، ويتمتع بأغرب موهبة في تسخير القلوب والنفوس، لأنها دين حق فيكسب الانصار والأصدقاء من نفس الأعداء الألداء، والمعارضين المعاندين، مثل التتار،

فإنهم لم يسلموا رسميا فحسب، بل برز فيهم عدد كبير من العلماء والفقهاء والمجاهدين والدعاة والربانيين وأهل الصدق واليقين. وأدوا دورهم الكبير في حماية حمى الإسلام في ظروف حقيقة وعظات عصبية من التاريخ.

ويقوم بمهمة توحيد حقوق هذه الدول المعادية للإسلام من البلاد الأوربية والأمريكية والآسيوية قوتا العالم العظيمتان. وهما الصليبية والصهيونية. وقد اجتمعتا على القضاء على الحمية الدينية والغيرة الإسلامية وانتزاع روح الاعتزاز بالدين والافتخار بالانتماء إلى دين الإسلام، وقد أدركت القوى الغربية أن مجرد الغلبة العسكرية والتفوق والتنظيح والاستقرار السياسي والأسلحة الفتاكة الحديثة والأساليب الحربية الدقيقة والاستراتيجيات العسكرية العلمية لاتكفي لاستعباد المسلمين واستبعادهم عن جوهر الدين وإبقائهم على العبودية مدة طويلة، بل لتحقيق هذا الهدف لابد من إيجاد الشعور بمركب النقص فيهم وإزالة الحمية الدينية والغيرة الملية من قلوبهم حتى لا يستطيع أحد منهم أن يقوم أمام الطبقة الحاكمة من الصليبية أو الصهيونية أو المعتمدين على أحدهما مرفوع الرأس شامخ الأنف. وتحقيقا لهذا الهدف أقاموا حركة الاستشراق لتشويه وجه الاسلام وإبعاد أبناء الشعب عن الدين، لأنهم كانوا يعرفون جيدا أن الهجوم على الإسلام مباشرة يؤدي إلى استفزاز المسلمين وإشعال غيرتهم الإسلامية وحميتهم الايمانية واحداث ردود فعل فيهم ضد ذلك. وهذه الحركة حركة الاستشراق أخطر الأخطار في عصرنا هذا. والمستشرقون هم الذين بذروا حبوب الاحتلال الثقافي وما يسمى الغزو الثقافي والغزوالفكري.

ونرى في العقود الأخيرة حين تطورت وسائل الغزو الثقافي أن حركة الاستشراق قد أصابها الركود والجمود، والآن لا يصدر عن المستشرقين كتاب ولامقال قيم إلا نادرا، لأنهم لم يستهدفوا بذلك إلا زعزعة عقيدة المسلمين، وإضعاف ثقتهم بدينهم وبصلاحيته لمسايرة الزمان وتطوراته، وأثارت الشكوك والشهبات حول القرآن الكريم ككتاب محفوظ ومصون من كل نوع من التحريف والتبديل وحول الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية. وذلك تجري بقوة وصمت ودون إثارة انتباهات بالاحتلال الثقافي الذي يتخون وراءه ما كانوا خططوا بالاستشراق.

إن أعظم ما يحزن وأكبر مايقلق مسلما بصيرا أن البلدان العربية والمسلمة عادت هدفا لأمريكا وإسرائيل وأوربا ونجح هجومها عقليا وفكريا وثقافيا إلى حد كبير، حتى أن الطبقة المثقفة التي نشأت وترعرعت في أحضان الثقافة الغربية، والتي تقتلى عرش الحكومات وتتقلد مقاليد الأمور والحكم وتملك زمام الفكر والتعليم والتربية قد أصابها الشعور بمركب النقص والوهن والضعف في إيمانها وعقيدتها واليأس من مستقبل الإسلام والمسلمين وطلاب البعثات الذين كانوا يفدون إلى أوربا للدراسة يرجع كثير منهم بمفاهيم أخرى غير التي نشأ عليها. ومنهم من كان يرجع ممزوجة أجنبية تقوم بدور الغزو الثقافي في بيته وبين أولاده، ووسائل ذات خطورة أهمها الإعلام على إمكاناته وخاصة البث المرئي الفضائي، فإنه خطر داهم، مباشر مروع، لأنه يقتحم علينا بيوتنا ومخادعنا ويخاطب رجالنا ونساءنا وأطفالنا أنه يبث القيم والأفكار التي تشكل تهديدا كاسحا للهوية والثقافة الاسلامية والعربية. ونريد من الخطورة أن الشبكات العربية والاسلامية الخاصة بالبث المرئي لا تستطيع أن تنافس مع الشبكات الغربية والقنوات الفضائية الغربية كلها تطفح بالسموم القاتلة للوعي الديني والقنوات العربية أو الإسلامية ليست مزودة بالأسلحة الكافية لمواجهة أظفار الغرب الحادة.

وظهور "انترنيت" ثورة في وسائل الإعلام وأقوى وجه الجانب التقني للاتصال. وذلك في غاية الأهمية لأنه حلقة الوصل بين أطراف عدة متباعدة أو متقاربة ويلغي عامل المسافة.

إن وسائل الاتصال وبخاصة شبكة انترنيت يمكن أن تكون لها فوائدها الثقافية والعلمية، ولكن نظرا أن هناك سياسة غزو ثقافي تتخذ من كل وسيلة ممكنة تنشر ما تريد نشره من مفاهيم وآراء أصبحت شبكة انترنيت مصدر خطر قارح على الأمة العربية والإسلامية. لأن الغرب وإسرائيل يتخذونها لإشاعة الرذيلة والاغلال الخلقي وتدمير الأسرة المسلمة، والغزو الثقافي الذي يشنها الغرب وإسرائيل لا يكتفي بالوسائل الإعلامية التي في غاية التقنية. وإنما اخترعوها مظهر آخر. وذلك هو العولمة التي نادت بها الدول الغربة ولايريدون بها إلا فوض النموذج الغربي على العالم العربي والعالم الثالث. والعولمة ليست بريئة أو صامتة كما يظنها بعض

السذج. وإنما لها أبعادها الخطيرة الاقتصادية والاعلامية والاخلافية والدينية وهي تسعى لإبعاد الدين القيم الأخلاقية من حياة الشعوب.

فوسائل الغزو الثقافي على تعدادها وتنوعها لها هدف واحد تسعى إليه. وهو إزالة القيم الدينية من قلوب المسلمين ومحو المعالم الإسلامية من وجه المعمورة. وهذه الوسائل أخطرها أثرا الإعلام عن طريق الإذاعة ووكالات الأنباء والسينيما، والأقمار الصناعية وشبكة انترنيت. فهذه الوسائل تحتكر الأخبار وتتعمد التشويه وطمس الحقائق لاسيما السينيما التي تصدر عشراتها كل أسبوع في أمريكا وأوربا. وتتعمد الطعن في الدين وتسيئ وجه الإسلام وتشوه أخلاق المسلمين، وتدعو إلى اللادينية واللاقيمية وتحث على العلاقات الجنسية الحرة، كما تهتم هذه الوسائل بالقيم التجارية والاغلالية وما تنشره من عبادة للعنف والقوة، ومن تمجيد لنمط اعياء الغربية وبخاصة في المجتمع الأمريكي والصهيوني.

مظاهر الاحتلال الثقافي:

يتمثل الغزو الثقافي الغربي في واقعنا الإسلامي في ثنائية التعليم وجعل بعضه دينيا وبعض الآخر مدنيا. فالإسلام دين الوحدة والتعليم، فيه نوع واحد من حيث مبادئه العامة وقواعده الكلية. وليس بين الدين والعلم تناقض ولا صراع. ولذلك نص المدارس الأجنبية على تباين مشاربها وأهدافها أشد خطر من ثنائية التعليم، ففي نوع من الاستعمار الثقافي يتمثل الغزو الثقافي في سيادة القوانين الوضعية والثقافية الأجنبية وأضعاف اللغة العربية.

وأخطر مظاهر الغزو الثقافي نشر الفساد الملقى باسم الفن، وشجع المرأة على العرية والتبرج والتمرد علىقوانين الدين والخروج على أدب العرف باسم تحريرها من قيد الرجل وظله وإنقاذها من سجن البيت وعظموا العاريات. والحق إنما عظموا عريتهن. وهن لا يعرفن أن تبريجهن لمجرد تمتع الرجال وأعراءها ليس إلا جعلها مجرد متاع واستعبادها لمصالحه الجنسية الحيوانية. وقد أمكن وسائل الإعلام أن تحض المرأة على الخلاعة وتحطيم الأخلاق إلى حد و إذاعة الفساد والمنكر. فنرى بعض مجتمعات المسلمين اليوم قد ألفت أعرافا وعادات يرفضها الإسلام وقد فرضت نفسها رويدا رويدا بفضل التخطيط الذي يهدف إلى تغريب الأمة وسلخها

عن خصائصها وخلعها عن مقوماتها الذاتية. ومن هذا التخطيط تمزيقها على أساس الأعراف التي تدعو إليها هذه الوسائل السامة كالفرعونية في مصر. وإلى الفينيقية في لبنان وسوريا وإلى الأشورية والكردية في العراق وإلى الساسانية في إيران وإلى البربرية في المغرب وإلى الطورانية التي بذرت حبوبها وتقوت أغراسها في أواخر العهد العثماني وأيام جمعية الاتحاد الترقي في تركيا. وكانت الدعوة إلى إحياء اللهجات الإقليمية ووضع قواعد لها والكتابة لها وعجز اللغة العربية الفصحى وإدخال اللغة العامية والدارجة من دلائل العمل على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم الأمة العربية.

آثاره :

وآثار الاحتلال الثقافي في العالم الإسلامي والعربي خطيرة جدا، كما أن معظم المسلمين اليوم ليس لديهم تصور واضح مستقيم للاسلام وتعاليمه. وشابتها ألوان مختلفة من الخرافات والانحرافات والانهيارات الأخلاقية بسبب الجهل وعدم المحاولات لإدراك مفاهيم الدين. ومثقفو المسلمين لا يلمون بالتعاليم الإسلامية إلماما دقيقا، بل معظمهم قد تاثر بالأفكار الأجنبية ومفاهيم غير إسلامية. ولذلك صارت حياة المسلم المعاصر مجرد مادية وخالية عن الروحية. لأن المادة أصبحت غاية. وكل ما يتصل بشهوات الحياة ومتاعها مباحا ولو كان محظورا، لأن المجتمعة المادية لا تقيم للقيم والأخلاق أوالقواعد الدينية وزنا. وإنما تتطلع إلى مزيد من الرفاهية والثراء ولا تهمها إلا المصلحة الفردية والمنفعة المادية. وتهم بالجري وراء شهوات الحياة وزخارفها، وتسير بعض المجتمعات الإسلامية وراء العادات الأجنبية المناهضة للدين، تقليدا لغيرهم، الذين يتأثرون بالسينيما المفسد وبرامج التلفاز المفتنة ويتظاهرون أن هذه العادات من ضرورات التقدم والحياة الحديثة، ولا علاقة لها بالتقدم العلمي أو التطورالحضاري حتى أصبحت الأمة لا تميز بين نافع وضار وصالح وطالح. وهذه المظاهر واضحة في الثياب والأزياء يرتدون الأزياء الناقصة الضيقة والمرأة على بعض بدنها فقط.

المبحث الثاني- الاحتلال الثقافي على مسلمي كيرالا: كلما تقوم حكومات الدول العالمية المعادية للإسلام كأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وحليفها للاحتلال على الدول الإسلامية، تهتم بالقضاء على الشعائر الدينية لاسيما الحكومات الشيوعية والفاشية.

ونرى بعضا من المحاولات في هذا الطراز حتى في بعض الولايات الهندية، كما تجري في ولاية غوجرات وبنغال الغربية. وحكومة كيرالا، التي زمامها في أيدي الأحزاب اليسارية، تناقض كل وسائل التقدم للأمة المسلمة، من حيث إجبار سياستها التربوية على الدارسين المسلمين. فتدخل المعاني اللادينية باسم العلمانية والأفكار المضادة للدين باسم الديموقراطية بتقديم المشروع الجديد في المناهج الدراسية، أكبر مثال له تضمين درس تحت عنوان "جيوان بدون دين" في الكتاب المقرر للعلوم الاجتماعية في الصف السابع، وهكذا الدعوة لإدخال الجنسيات في دروس أوائل الصفوف وترتيب أسماء الدارسين حسب الحروف الإنجليزية بغظ النظر إلى جنسهم. فغرض هذه السياسة إزالة تعاليم الدين الإسلامي من قلوب البنين والبنات، وتقليل الاهتمام بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتجليب الأمة إلى الثقافة الغربية، في حين تناقض سياسة الغرب الحكومية والاقتصادية. ومن هذا القبيل من محاولات تغريب المرأة، الدعوة إلى حجز المقاعد لها في البرلمان والمجالس التشريعية ثلاثة وثلاثين في المائة والخمسين في المائة في المعاهد المحلية ذات سلطة خاصة. والعامل وراء هذه السياسة هو الفهم الجيد أنه لا يتم تغريب المجتمع المسلم إلا بهدم صرح دين الإسلام، ولذلك سيتخذون كل وسيلة. فيزعمون بعض الأحيان بأن الإسلام ككل دين مجرد دين لا دولة ولا اجتماع، وينبغي أن يتدين في الحياة الشخصية، واستعماله في المساجد. ليس له في السياية أو الاجتماع أو الدولة شأن حتى أن الحياة الشخصية يجب إبعاد الدين عنها بعض الأحيان كالنكاح والطلاق والميراث، وينبغي لهذه الشؤون قانون عام يشمل جميع الطبقات والأديان، ويدعون أن قوانين الشريعة الإسلامية لسيت لائقة للإنسانية، ولا ملائمة للمرأة كتعدد الزوجات وميراث المرأة وحد السرقة والزنا وقواعد الربا حتى أن بعض المثقفين المسلمين يقعون في بعض هذه الدعايات، كما وقع كثير من شبان العرب الذين هاجروا إلى الغرب للدراسات العليا في هذه الهتافات. وتعرضوا لسيطرة الثقافة الغربية الغازية وتأثير المستشرقين والمبشرين في العادات والأزياء والأفكار والمواقف.

التدخل في مواقيت المدارس: وأهم الاقتراحات في المشروع الجديد للمناهج الدراسية في كيرالا تغيير وقت بداية المدارس من العاشرة إلى الثامنة أو التاسعة

صباحا التي هي من الأوقات العملية للمدارس الدينية التي يجريها المسلمون. ولا تستهدف الوزارة التربوية لكيرالا بهذا التغيير إلا منع هذه المدارس الدينية من عمليتها، وتدهور الدراسات الإسلامية.

تشجيع الزواج المختلطة:

وأهم الرسالات في هذه الدروس التي تقدمها الحكومة الدعاية إلى الزواج عبر الأديان والحث على الغرام بدون اعتبار دين المحبوبين، لأنهم يعتقدون أن الإنسان فوق الأديان، وهي من الأمور الاعتقادية فقط. والواقع أن الحكومات اليسارية في كيرالا وبنغال الغربية يرفضون غرام المسلم لبنت الهندوكي، ويتخذون حملات ضارية على هذا النوع من الغرام والزواج، مسمين ذلك "جهاد الغرام"، ويتهمون شبان المسلمين أنهم يحبون بنات الهندوكيين والمسيحيين لمجرد تشجيعهن لاعتناق الإسلام، وذلك في حين أنهم يقرون غرام الشبان غير المسلمين لبنت المسلم، ويزعمون هذا معقول، والأول ليس بمعقول.